الوحدة الأولى: السياق الحضاري لنشأة الفلسفة اليونانية

مفتتح إشكالي:

إن المكانة الجليلة التي خصت بها اليونان لم تكن لتتبلور وتترسخ في التاريخ الحضاري لولا الفلسفة، هذه الأخيرة التي مهدت لميلاد الأفكار الكبرى و الأنساق الناظمة للحضارة ة الإنسانية شرقها وغربها، وإنه لحقيق بنا القول :أن حكمائها قد رسموا الإمكان الخاص بالتفلسف عبر التساؤل والدهشة من العالم المحيطة بهم باعتبارها ونتاجا لحرج متولد من استبصار الموجودات باعتبارها تدبيرا للنفس ضربا من التعقل الذاتي للوجود وفهم أسرار العالم والذي وجد في حركة الطبيعة نوعا من العلم، ولم يبقى للاحقين من الحضارات إلا الانكباب حول هذا الميراث ذلك أن حد التفلسف اللاحق عن التجربة الإغريقية من منظور المسكيني هو: "**نحو مبتكر من الاندهاش لواقعة الإغريق أنفسهم الذين صاروا القدر الأنطولوجي لغيرهم من حيث الإمكان الأصلي لمعنى الفلسفة المبثوث فيهم، وأن مسار الفلسفات اللاحقة هو العناية بأقاويلهم**"[1]. هذه هي إذا عظمة الإغريق (*)وقوة حضورهم كما يوصفها نيتشه من حيث أنّهم "**رموا الرمح بعيدا**" وبذلك "**فهم من أعطوا الشرعية للفلسفة**"[2] لذا فإن أي مدخل إلى فهم بنية العقل الفلسفي الغربي أو العربي من غير إسكان الرؤية اليونانية ضمن مفردات التَّحليل والفهم، هو مدخل لا يتخذ من الحقيقة مسلكًا له، وإذ عرف هذا؛ فإننا نصرف السَّعي إلى عرض التساؤلات التي بوساطتها نحيط بسياقات تشكل هذه الفلسفة الأمّ ونضوجها وهي كالآتي:

✓ ماهي العوامل الرئيسة في ميلاد الفلسفة اليونانية

✓ والثانوية المساهمة في ميلاد الفلسفة اليونانية؟

أولا: عوامل النهضة الفلسفية عند الإغريق

من الواضح أن صياغة هذا العقل الجديد المسمى فلسفة والتعبير عن هويته لم يكن ليتحقق لولا وجود مجموعة من العوامل الحضارية الداخلية والخارجية فنحن عندما نتساءل كما يقول جون بيير فرنان عن الشروط التي سمحت بميلاد هذا الشكل الجديد من أشكال التفكير والذي يمثل قطيعة حاسمة مع ذلك النوع من الخيال الأسطوري المعبر عن أكثر صور التفكير البشري شيوعا؟ معناه أنه يطلب من العقل نفسه أن يبرر ذاته عقليا، بيد أن بعضا من هذه العوامل -حسب علم الاجتماع المعاصر-من يمارس تأثيرا أكثر أهمية في التطور الذاتي لتا[3]ريخ الحقبة الزمنية المحددة، ما يعني عدم النظر إلى القطاعات المختلفة المكونة للمجتمع الإنساني على أنها متساوية في فعلها وتأثيرها، وفي ضوء هذا المعنى نقسم عوامل تبلور الفكر الفلسفي في بلاد اليونان إلى عوامل أساسية وأخرى ثانوية.

1/ العوامل الرئيسية: تشمل مجال الاقتصاد والسياسة

فمن الناحية الاقتصادية لقد كان للتحول الاقتصادي الذي شهدته اليونان منذ القرن الثامن ق-م نتيجة (بعد مدة سقوط الحضارة المسينية (*) استعادة وتطوير العلاقات مع الشرق و الداخل الأناضولي -بالتحديد مع ليديا- إلى اتجاه القطاع الاقتصادي نحو التجارة التي فرضت نفسها بقوة على نمط الإنتاج القديم وهو النمط

الزراعي الأمر الذي ساهم في ولادة قيم جديدة متمحورة حول الاستهلاك البضائعي (السوق) والذي في ضوئه أصبح العالم الخارجي مجرد سوق ومصدر للأرباح والمنفعة، ومن جهة ثانية كان لظهور النقد كقيمة تجريدية أثر واضحا في تسهيل المعاملات التجارية والذي يعكس التطور العالي للفكر النظري المجرد لدى المفكرين والحكماء ضمن طبقة التجار وأصحاب الأعمال ومالكي السفن آنذاك[4] . هذا الأمر غير ميزان القوى الاجتماعية من حيث تقسيم الفعالية الإنسانية إلى قطاع فكري وآخر يدوي وظهور الطبقات طبقة العبيد وطبقة الأحرار.[5]

الصورة رقم1: العملة النقدية في القرن 5ق-م

أما ما تعلق بالشرط السياسي فلقد واكب ميلاد الفلسفة ظهور ما يعرف بدولة city state واللفظة اليونانية التي تستخدم للدلالة على ذلك هو البوليس والمعنى الأصلي للفظة البوليس هو القلعة وبذلك المراد بدولة المدينة

(البوليس) أن المجتمع أصبح عبارة عن وحدات سياسية مستقلة بعضها عن بعض نتيجة لطبيعتها الجغرافية ن فأصبحت لكل مدينة مقومات الدولة أو دويلة صغيرة هذا الأمر ساهم في توطين أهم خصائص العقل اليوناني وهي خاصية الحرية ، فقد أصبح اليوناني يستشعر تفرده واستقلاله الذاتي[6] .

لكن هذا المعنى لم ينبثق دفعة واحدة وإنما كان مرحليا حيث تمّ التخلص أولا؛ من أوّل نظام عرفته دولة المدينة وهو الحكم الملكي الفردي المطلق عن طريق – الطبقة الأرستقراطية =طبقة الأفاضل– القائم على تصور مخصوص للنظام التشريعي على الأرض ويصبح منصب الملك مجرد وظيفة موقوتة شأنها شأن غيرها من وظائف الدولة بعد أن تجرد من كل السلطات التي كانت تتبعه وتتعلق به، لكن الطبقة الأرستقراطية التي تمتلك الأراضي التي تمكنت للوصول لسدة الحكم سرعان ما أدى لسقوطها بسبب طبقة التجار الذي أدى لظهور توسع التبادل النقدي في الأفق الاقتصادي وانتشار الرقيق في الحرف اليدوية ساهم ما أدى إلى تقلدها الحكم من جهة ومن جهة ثانية تنمية الوعي الطبقي وهو ما أدى لبروز النظام الديمقراطي[7].

2/ العوامل الثانوية: فيمثلها عامل الهجرات المتتالية: لقد عرفت اليونان الكثير من الهجرات، التي تعود أسبابها إما لظروف جغرافية أو سياسية، فالظاهر على صعيد الظرف الجغرافي فقد كانت أيونيا ذات موقع استراتجي هام فهي تطل على الساحل الأيوني الذي وصفه هيرودتس** بكونه بأفضل صفات البحار في

العالم من ناحية مدونه ودفء مياهه ووجود الخلجان التي تهدي السفن والتجار[8]. هذا عكس بلاد اليونان الأصلية (أثينا) التي كانت تعاني من قلة الأراضي الصالحة للزراعة لأنها عبارة عن سلاسل جبلية قاحلة تصعب الانتقال فيها، ما عسر على الفرد اليوناني تحقيق اكتفاءه الذاتي.

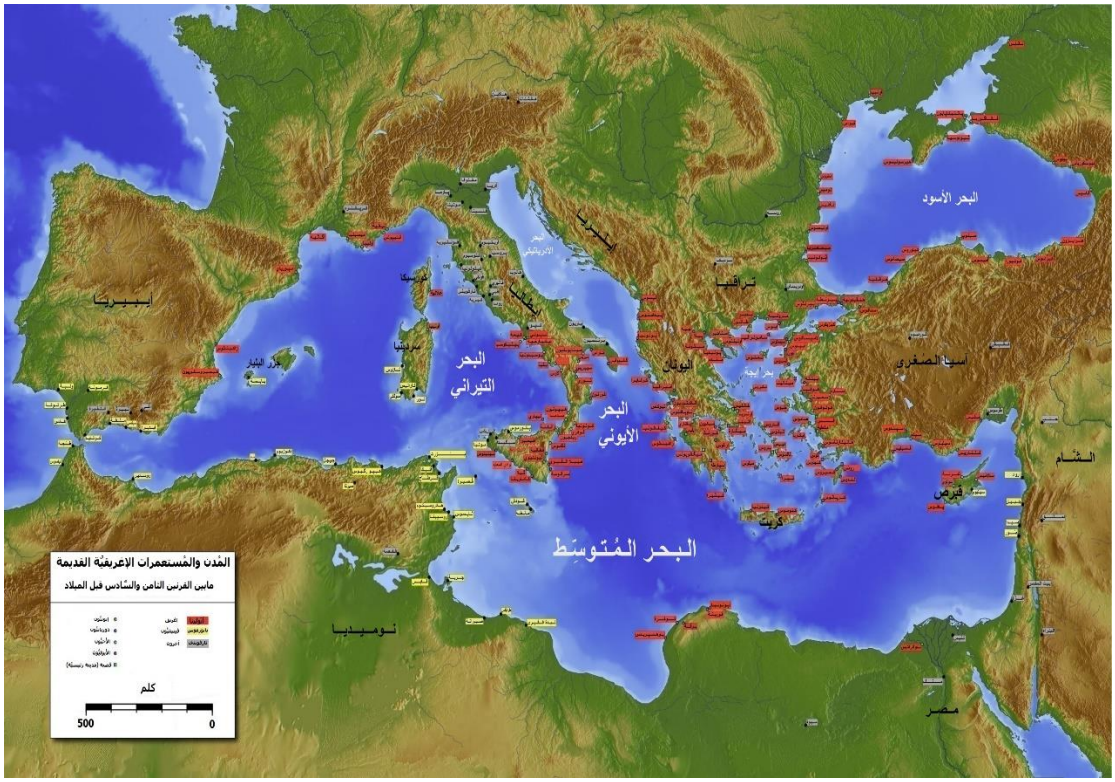

الصورة رقم 2: الموقع الجغرافي لأيونيا

أما على صعيد الظرف السياسي نجد أن عملية الترحال كانت نتيجة حتمية للحروب والغزوات وما يهمنا هنا هي تلك الهجرات هي تلك التي نشأت على أعقاب غزو الدوريون (***) حوالي سنة 1200ق-م والذي تسبب في سقوط الحضارة

المسينية، ما اضطر جميع سكانها أي المسينيين والأيونيين والأيوليين إلى هجرة مكان إقامتهم نحو جزر بحة ايجة وساحل آسيا الصغرى[9].

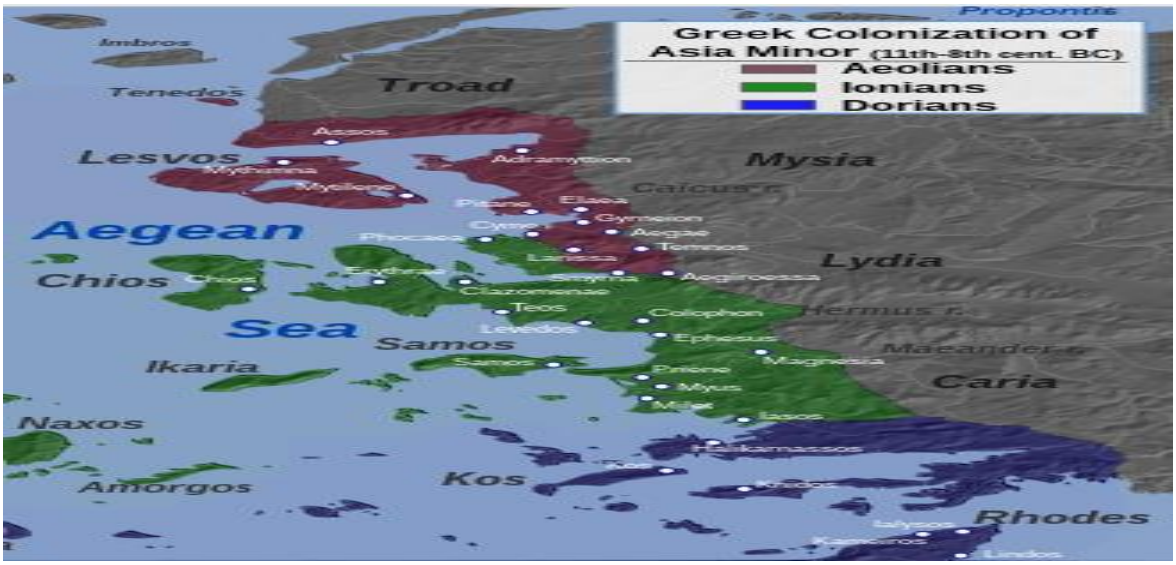

الصورة رقم3: التـــــوسع الـــــــدوريني في بلاد اليـــــونان

أما العامل الثانوي فهو العلمي والثقافي: فقد كان لانفتاح أيونيا على وجه الخصوص مع الداخل الأناضولي وبالتحديد ليديا وعلى العوالم الحضارية من الشرق الأدنى(مصر وسورية والرافدين) والشرق الأقصى (الهند والصين) عبر التجارة البحرية ورحلات الكثير من الفلاسفة إلى بلاد الشرق، حيث دخل علم الهندسة وعلم التشريح المصري وعلم الفلك البابلي وظهرت الكتابة تحت تأثير الفينيقيين وانتشرت بالخصوص منذ أوائل القرن الخامس قبل الميلاد والذي لعب دورا في سهولة تداول المكتوب على إخصاب الفكر وإثارة المشاكل، إلى جانب هذا دخلت الكثير من الأفكار الدينية والأخلاقية إلى العقل اليوناني حيث نجد أن الشرقيين أول من تداول الأمور الإلهية ووضع أسس الفلسفة الدينية التي أظهرت

العقائد بصفتها تمثلات للحياة الاجتماعية بجميع ظواهرها كما حاولت إثارة الصلة بين الكون والإنسان،.